الوصول الى جبل النار

(في ١٠/٢٥ نشرت «الاتحاد» قصيدة الطريق الى جبل النار لسميح القاسم وكان قد كتبها في غمرة الاعتقالات الواسعة التي شنتها سلطات الاحتلال في نابلس والضفة الغربية . اما هذه القصيدة « الوصول الى جبل النار » فهي تحية لطلاب المدارس والعمال والمثقفين الفلسطينيين ، الذين هبوا ضد الاحتلال ورجموا آلياته بالحجارة ، والذين يعانون الآن في السجون وفي حصار حظر التجول والارهاب .. وقد قرأ الشاعر القصيدتين في نابلس..)

وبعد الرحيل الطويل على شفرات العذابْ
تراءى لي السفح عبر الظلام المكدس وانشق باب
تلفتُّ خلفي ولم أتحجر . ولم أشحد الصفح والمغفره
وكان هنالك خيط من الدم
(خيط من الدم ـ أو هو صدع الكره !)
وكان دمي النصل منغرزاً في ضمير الشعوب
ولم أشحد الصفح والمغفره

وبعد الرحيل الطويل بلغت المدينة ليلا
طرحت السلام وصحت :
أنا أيها الأخوة الطيبون
رسول جبال الجليل الى جبل النار ،
من مرشدي ؟
الى جبل النار ـ هل تسمعون وهل تفهمونْ ؟
الى جبل النار ـ من مرشدي ؟
ودبت علينا مجنزرة . سحقت بعض أقدامنا ،
آختلط الدم بالدم . ما عدت أعرف جرحيَ من جرحهم ،
دوَّت الصرخة الصرخة القانية :

« وقوفاً ! »

وزلزلت الارض زلزالها

« وقوفاً ! »

وأيقظت الأم أطفالها
وجلجلت الصرخة القانية :

نموت على ساعديكِ
لنحيا على ساعديكِ
نموت ـ ولن تعبر الذئبة الدامية !
واعطى النهار الاشاره
وفي شرفات البيوت ومنعطفات الشوارع ،
بين المدارس والساحة المركزيه
تكمشت القبضات الصغيرة حول القنابل
(لا بأس ـ حول الحجاره !)
وجلجلت الصرخات الفتيه
تحرك اذن ايها الديناصور الغبي تحرك
وسمِّمْ سنابل أحلامنا
ودس بجنازيرك السود أطراف أقدامنا
تحرك
بظلفك أنت ، سنحفر نحن ، سنحفر قبرك
ونبعث آباء أيتامنا !
هنا جبل النار ،

ها نحن في السفح من جبل النار ،
بعد الرحيل الطويل على شفرات العذاب
تراءى لنا السفح عبر الظلام المكدس ،
وانشق باب

وصلنا !

الى جبل النار يا ايها الثائرون
الى جبل النار ـ هل تسمعون وهل تفهمون
الى جبل النار ـ نحن وصلنا
وصلنا بكل العذاب . بكل الدم المز والذكريات
وصلنا بأطفالنا البالغين
وصلنا بحقد العذارى على الغاصبين
وصلنا بسنبلة سمموها
بأغنية يتموها
بانقاض بيتٍ
بقلب عريس مجندل
بدعوة عرس تأجل

وصلنا على جسر أمواتنا الناهضين
سكاكين ،
تقطع جذر الغزاة الهجين

وصلنا !

هنا جبل النار والحب والأغنيات
وبنك الدم المز والياسمين

وصلنا !

بنار الحياة ـ ونور الحياة !

(الجديد عدد ١٩٧٤/١١)